# الدور العلمي لزوايا ومدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني

**الأستاذ الدكتور/ طاعة سعد**
**جامعة معسكر ــ الجزائر**
**saad.taa@univ-mascara.dz**

تاريخ الإرسال: 2019-06-03 تاريخ القبول: 2019-10-31 تاريخ النشر: 2019-12-26

**Abstract :**

The Algerian deys established a lot of institutions of science and culture ranging from mosques and Zawiya to quranic schools. Students who graduated from these institutions had contributed to different teaching fields and to the diffusion of science. Also, they provided libraries of the time with different intellectual and literary publications. Among these Students was El Bey Muhamed El Kebir. Sponsored by his own money, he lead a reform movement in the West of Algeria especially in the field of science.

There is no doubt to say that There was huge intellectual and cultural production especially in Mascara which was considered among students as the hub of literature, history, Seerah of the prophet and Fikh.

**ملخص**

شيد دايات الجزائر الكثير من المنشآت المرتبطة بالعلم والثقافة من مساجد وكتاتيب ومدارس وزوايا ،تخرج على إثرها الكثير من الطلبة الذين ساهموا مساهمة فعالة في إثراء حقل التدريس ونشر العلم ، كما زودوا مكتبات ذلك الزمن بكثير من المؤلفات والإنتاج الأدبي والفكري ، ولعل أبرز هؤلاء الباي محمد الكبير الذي قاد حركة إصلاحية في الغرب الجزائري خاصة في مجال العلم وصرف من أمواله الخاصة على ذلك ، فلاغرو أن نرى الحصيلة الثقافية والفكرية كبيرة في عهده وتحديدا مدينة معسكر التي كانت تعتبر مزارا لطلبي العلم خاصة في مجال الفقه

وعلوم السيرة والتاريخ والأدب، وكان ذلك كله بفضل شيوخ وعلماء هذه المنطقة وبفضل هذه المنشآت.

**الكلمات المفتاحية:** المساجد- الفكر- محمد الكبير- الحكم العثماني- العلم- الثقافة

**مقدمة**

لعبت المنشآت العلمية والدينية خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني دور مهم في نشر العلم والثقافة ، وساهمت إلى حد ما في ازدهار النشاط الثقافي خلال هذه المرحلة من تاريخ الجزائر عموما، كما قامت هذه المنشآت ببعث الحركة العلمية والثقافية في معسكر من خلال علماء وشيوخ هذه الفترة ،وما خلفوه من تراث علمي وفقهي وأدبي خرج حدود الجزائر ليصل إلى أقطار المعمورة .

شيد دايات الجزائر الكثير من المنشآت المرتبطة بالعلم والثقافة من مساجد وكتاتيب ومدارس وزوايا ،تخرج على إثرها الكثير من الطلبة الذين ساهموا مساهمة فعالة في إثراء حقل التدريس ونشر العلم ، كما زودوا مكتبات ذلك الزمن بكثير من المؤلفات والإنتاج الأدبي والفكري ، ولعل أبرز هؤلاء الباي محمد الكبير الذي قاد حركة إصلاحية في الغرب الجزائري خاصة في مجال العلم وصرف من أمواله الخاصة على ذلك ، فلاغرو أن نرى الحصيلة الثقافية والفكرية كبيرة في عهده وتحديدا مدينة معسكر التي كانت تعتبر مزارا لطلبي العلم خاصة في مجال الفقه وعلوم السيرة والتاريخ والأدب ، وكان ذلك كله بفضل شيوخ وعلماء هذه المنطقة وبفضل هذه المنشآت.

**معسكر التاريخ والمقاومة:** تمتلك مدينة معسكر وما جاورها رصيد حضاري وتاريخي هام ،بفضل طبيعتها وجغرافيتها التي مكنتها من تقديم أدوار مهمة عبر التاريخ من

خلال مساهمتها في الإرث الحضاري الجزائري ومواجهتها للاستعمار والتدخل الأجنبي منذ القديم بداية بالتواجد الروماني، وهناك شواهد للحضارة الرومانية في المنطقة، وانتهى هذا الاحتلال بظهور الفتوحات الإسلامية وكان لبعض حواضرها دور هام في الإشعاع الثقافي الإسلامي، وفي الفترة الحديثة من تاريخها خضعت للحكم العثماني ،وكانت أول عاصمة للإيالة الغربية هي " قلعة بني راشد ثم مدينة معسكر فوهران بعد الفتح الأول سنة 1706م ، ثم مستغانم وعادت عاصمة الإيالة إلى معسكر وأخيراً وهران، وكان أول بايالها حسن بن خير الدين باشا وهو أول من حارب الإسبان حرباً عنيفة بوهران وكاد يفتح المدينة لولا ما شغله عنها من أمور سياسية طارئة والباي مواق الذي مات مسموماً من سم وضعته له زوجته ،والباي سائح الذي بقي في الملك إحدى عشرة سنة وتولى بعده الحكم عشر بايات ،ثم الباي محمد عيسى وهو السادس عشر من بايالها والباي شعبان الزناقي الذي استشهد في جهاد الاسبان بوهران "[1]. وبرزت معسكر مرة أخرى ثقافياً حيث عرفت نشاطاً مزدهراً في أواخر الحكم العثماني ولعبت أدوار تاريخية وسياسية مهمة ، فكانت عاصمة بايلك الغرب خلال الحكم العثماني لفترة طويلة " ومن الظروف التي ساعدت على نقل مقر القيادة إلى مدينة معسكر، أولا وجود خطر اسباني صليبي في وهران ، أما ثانيا مكانة معسكر الإستراتيجية وتوسطها في الغرب الجزائري،لقد أتيحت فرصة الزعامة لهذه المدينة مرتين الأولى قبيل فتح مدينة وهران،وأما الفرصة الثانية فهي أثناء الغزو الفرنسي حيث اتخذها الأمير عبد القادر مقراً لدولته فبويع فيها مرتين من طرف سكان معسكر في مسجد الباي محمد الكبير بالذات ،غير أن هذه السيادة انتهت باحتلالها من طرف الاستعمار الفرنسي "[2] .

**أهم المنشآت العلمية والثقافية ودورها الثقافي :**

**أ / الزوايا** : وهي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام تشمل على مسجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وهي في حد ذاتها مؤسسة يديرها رئيس لطريقة صوفية يجتمع فيها مريدون لذكر الأوراد كما خصصت للذكر والعبادة والاعتكاف والتأمل والتفكر والرياضة الروحية " فالزوايا غالبا ما تضم غرف لإيواء الطلبة وأخرى للدراسة ، وتكون تحت أشراف المقدم أو الوكيل ، وأما بعض الزوايا فكان الإشراف عليها متوارثا في العائلة ،ويساعد خليفة المرابط الذي يتولى التعليم أو الإشراف على مدرسيها الوكيل وعدد من الخدم ،كما وجدت بها مخازن للمؤن من أجل تمويل الطلبة والفقراء "[3] وانتشرت الزوايا أثناء الحقبة العثمانية خاصة بالغرب الجزائري وكان يحج إليها الآلاف من طالبي العلم ، وفي معسكر كانت هناك العديد من الزوايا التي كانت تهتم بالتربية الروحية وتعليم القرآن وعلوم التفسير واللغة، " ولقد برزت عدة زوايا ومدارس ومعاهد علمية كان لها الأثر في نشر العلم، أهمها زاوية الشيخ محمد السليماني وزاوية الشيخ محمد المشرفي وزاوية الشيخ عبد الله بن عبد الرزاق الادريسي وزاوية الخضير الصنهاجي الأدريسي وغيرها، وكانت هذه الزوايا تقوم بتلقين مختلف العلوم خاصة علوم القرآن والحديث والفقه ،وتسهر على إعالة طلابها من خلال ما تتلقاه من هبات وصدقات من أهل الخير والإحسان وما تدره عليها مختلف الأملاك الوقفية "[4] . وقد انتشرت هذه الزوايا وتأسست في الفترة الممتدة مابين القرنين الثاني عشر والتاسع عشر ميلادي،ومن أهم الزوايا الكبرى والتي اشتهرت في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني :

1– زاوية القيطنة توجد هذه الزاوية في قرية صغيرة على " ضفة وادي حمام ببوحنيفية أسست من طرف الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي جد الأمير عبد القادر سنة

1206ه الموافق ل1792م ، وعرفت في عهده إشعاعا دينياً وثقافياً معتبراً، ثم تولى شؤونها الشيخ محي الدين الذي ورث عن أبيه المشيخة وكثر عليه مريدو الطريقة حتى أصبحت كل قبائل الحشم تقدم له الصدقات وتقدره وتحترمه " [5] وحسب صاحب تحفة الزائر فإن تاريخ بنائها يعود إلى سنة 1792م بينما يُرجع الأمير عبد القادر تاريخ بنائها إلى أواخر القرن الثاني عشر هجري[6] وعرفت الزاوية إشعاعاً دينياً كبيرا ومن أبرز شيوخها الشيخ المشرفي والشيخ مصطفى بن مختار ويأتيها المريدون من مراكش وسوس وإفريقيا والإسكندرية ،وهي تحتوي على سبعة مجالس للتدريس واختصت الزاوية في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد وعلوم اللغة العربية، واعتبرت الزاوية من بين أهم المعاهد العلمية العليا التي كانت موجودة في البلاد في تلك الفترة وكان يقوم بإدارتها الشيوخ والعلماء، كما تخرج منها الكثير من فطاحل العلم والتقوى ساهموا مساهمة جبارة في نشر الثقافة ،وقد تخصصت الزاوية في علوم الفقه واللغة ويقول الأمير عبد القادر " من اجتاز الوادي قاصداً القرية يؤمن ولا سبيل عليه،وذلك أن الجد اختطها بإشارة أهل الخير فقال له متطوعا ذهبت من القاف إلى الحاف فلم نجد مثل هذا الكاف " [7]

2– زاوية سيدي بوسكرين : المعلومات حولها قليلة وتعتبر من الزوايا الكبرى بمدينة معسكر،وحسب مخطوطة موجودة في الزاوية توضح وجودها وقيامها أواخر القرن التاسع هجري وهي في قلب المدينة، ومن شيوخها عبد السلام الإدريسي " أما مؤسس الزاوية فهو يحي بن أحمد بن موسى بن يعقوب من ذرية سليمان وكنيته أبو زكريا، ولما ضاعت اللغة العربية وطغت عليها الدارجة ،فصار الحذف من هذه الكنية وأصبحت الآن تدعى بوسكرين وعاش مابين القرنين التاسع والعشر هجري " [8]، وكانت له علاقة طيبة بينه وبين مشائخ

الطريقة الطيبية والزاوية هي من أقدم زوايا معسكر ، وكانت تسمى بالأزهر الصغير حيث كان العلماء يأتون إلى الزاوية من مصر والشام، وكان التدريس بها قائما وينحصر في العلوم الدينية إضافة إلى علوم الفلك،ومقارنة بزاوية القيطنة فإن زاوية سيدي بوسكرين من أقدم زوايا معسكر ،ودأبت هذه الزاوية على تخريج الكثير من طلاب العلم سنوياً ،كما برز فيها شيوخ وعلماء في الفقه والتفسير وعلوم اللغة وظهر دورها في المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني .

**ب/ المساجد** : كانت المساجد ساحة للعلم والتعليم عبر التاريخ الإسلامي ،كما كانت تُحل فيه قضايا المسلمين " ولم تكن بيوت للعبادة فحسب ،بل تعدى ذلك للقيام بوظيفة الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية من خلال إلقاء الدروس وتنظيم المناظرات الفكرية بين العلماء ، كما كانت مكان لتعليم مختلف العلوم والفنون " [9] وهي مركز إشعاع ثقافي وحضاري ومن أهم مساجد معسكر :

1- مسجد عين البيضاء : خلال إقامة الباي محمد الكبير بمدينة معسكر اهتم بتعميرها وبنا هذا المسجد بتاريخ 1195ه وسمي بهذا الاسم نسبة إلى وجود عين مائية أسفل السور الشرقي لمعسكر ، وسمي كذلك بمسجد المبايعة وذلك نسبة إلى مبايعة الأمير عبد القادر الثانية من طرف سكان معسكر ، وسمي كذلك بمسجد سيدي حسان [10] وأطلق هذا الاسم من طرف الاستعمار حتى يطمس معالم هذا المسجد ، وكان معلما هاما في نشر العلم والمعرفة بمعسكر .

2- الجامع الكبير : ويسمى بمسجد مصطفى بن هامي، أمر الباي الحاج عثمان بن إبراهيم ببنائه سنة 1747م " حيث كتب على اللوح التذكاري – أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحمود المعظم القامع المعدي مولانا الحاج عثمان باي بن السيد إبراهيم ، وكان ذلك

في شهر شعبان 1160ه – وأقام بجانبه الدار والقبة الملاصقة له " [11] ويعتبر هذا الجامع من أقدم الجوامع بمدينة معسكر ، ومن الملاحظ أن الباي محمد الكبير قام فيما بعد ببنائه من جديد وتوسعته ، وظهرت بصمة الرجل في هذا المجال حيث " استفادت هذه الحواضر من الإصلاحات العمرانية والثقافية التي بادر بها الباي محمد الكبير ، الذي شيد المسجد الكبير المعروف باسمه والذي يعتبر من أروع وأهم مساجد الايالة " [12]، وقد حظي هذا المسجد برعاية فائقة من بايات الجزائر تحديدا في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني ، وكانت تقام في هذا المسجد الفتوى وتقديم الدروس لعامة الناس .

3- مسجد الكرط : في معسكر القديمة يقع في الجهة الغربية للقرية ملتصقاً بضريح سيدي يوسف بن عيسى وفي الجهة الجنوبية مقبرة القرية، وأقام سيدي يوسف زاويته بالكرط وأسس إلى جانبها الجامع المعروف بجامع الكرط وهو مسجد قديم، فظهوره كان قبل هذه الفترة المدروسة وتبدو أهميته في كونه أن عدد كبير من العلماء والمشائخ والفقهاء تعلموا فيه القرآن الكريم ودرسوا به ، ومن أشهرهم العائلة المشرفية " والتي تنتسب إلى قبيلة المشارف وتتفرع هذه القبيلة إلى أربعة أفخاذ، هي أولاد سيدي أحمد بوجلال وأولاد سيدي علي وأولاد سيدي عب وأولاد سيدي منصور " [13] ومن أشهر علماء هذه القبيلة ابن مشرف محمد والشيخ يوسف بن عيسى المشرفي والشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي والشيخ محمد الطاهر بن عبد القادر المشرفي، وهؤلاء عاصروا المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني وكان لهم دور مهم في الإشعاع الثقافي العلمي بمعسكر، وقام الباي محمد الكبير بترميمه وتوسعته وتزيينه وقد ساهم هذا المسجد مساهمة فعالة في نشر العلم والثقافة.

**3- المدارس** : رغم أن المساجد والجوامع والزوايا كانت تقوم إلى جانب وظيفتها التعبدية والدينية بوظائف تربوية تعليمية فإن المدارس في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني اهتمت بالمجال التعليمي المعرفي،وكانت بذلك منارة هامة في نشر الثقافة ومن أهم المدارس التي أنشئت بمعسكر :

- **المدرسة المحمدية** وهي من أهم المدارس التي ظهرت في الغرب الجزائري، وتعريف المدرسة " هي عبارة عن مؤسسات دينية لإلقاء الدروس وهي مستقلة، متخصصة في التعليم وحده حيث كانت تؤدي وظيفة تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية " [14] لذا فهي تنفرد عن بقية المؤسسات التعليمية والدينية الأخرى،وقد ظهرت خلال العهد العثماني خاصة الفترة الأخيرة ،وكانت تضاهي هذه المدرسة في برامجها التعليمة وأهدافها ما كان موجود في المغرب والمشرق العربيين من مدارس ومعاهد ، وقد عرفها العلامة الشيخ أبو راس الناصري بقوله " المدرسة المتعارفة عندنا الآن وهي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه عندنا " [15] ونظراً لمكانتها العالية وشهرتها التي تجاوزت الحدود ، فقد وجدت اهتمام من لدن بايات الجزائر في تلك الفترة وأبرزهم الباي محمد الكبير، حيث " استفادت مدارس الغرب الجزائري من إصلاحات الباي محمد الكبير، وهذا لتدعيم وتنشيط الحياة الثقافية حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر لتصبح من أكبر مدراس بايلك الغرب ، وهي المدرسة التي قال عنها صاحب الثغر الجماني كاد العلم أن يتفجر من جوانبها " [16]، وقد عرفها العالم الجليل الشيخ أبو راس الناصري في كتابه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار بقوله " فالمدرسة عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم ، أي تعليمه كالمدرسة البوعنانية بفاس ومدرسة أبي الإمام بتلمسان والمدرسة المستنصرية والباشية بتونس والقشاشية في تونس والمحمدية بأم عسكر " [17]

واستفادت هذه المدرسة برعاية الباي محمد الكبير من حيث التمويل والإنفاق والعناية بها، وجهزها بمكتبة كبيرة وعين على إدارتها خيرة علماء تلك المرحلة "كانت هذه المدرسة تضم أساتذة أكفاء من بينهم محمد مصطفى بن زرفة الدحاوي والطاهر بن حواء وعين الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي لإدارتها في سنة 1792م " [18] . وتمكن محمد الكبير بفضل تلك المدرسة أن يجعل مدينة معسكر عاصمة علمية كبيرة ومزدهرة ، وقد عُرفت بغزارة الإنتاج العلمي والأدبي والديني والفكري، وكانت مزاراً دائما للعلماء والمفكرين من كل أنحاء المعمورة خاصة المغرب العربي.واعتبرت المدرسة المحمدية من بين " المعاهد العليا التي عرفتها الايالة الجزائرية خلال العهد العثماني، مثلها مثل المدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي في قسنطينة والمدرسة القشاشية بالجزائر العاصمة " [19].

**شيوخ وعلماء معسكر خلال هذه الفترة** : – من أهم علماء وشيوخ هذه الفترة والذين ساهموا مساهمة فعالة في نشر العلم والثقافة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بمعسكر ، وبرزت ثقافياً حيث عرفت عصرها الذهبي في أواخر العهد العثماني،وحظيت بشهرة واسعة في كامل بلاد المغرب بفضل بروز علمائها ومشايخها في جميع مجالات العلم والمعرفة ، أمثال مصطفى بن عبد الله الرماصي صاحب كتاب المريد ،وبن عبو المشرفي صاحب بهجة الناظر وعقد الجمان، وعبد القادر بن السنوسي ومصطفى بن عبد الله البجاوي صاحب كتاب الرحلة القمرية في السيرة المحمدية ،ومحمد بن حوا بن يخلف محرر نص المبايعة ،والسيد فرقان الفلييتي ويحي أبو زكريا ومحمد بن يحي وأحمد بن علي وقادة بن مختار وعبد الرحمن المدعو دحو بن زرفة ،وابن يخلف وبوطالب الغريسي . ولعل أبرز عالم ومفكر ومؤرخ ساهم مساهمة فعالة في هذا العصر الذهبي هو :

– **الشيخ أبي راس الناصري** : هو " محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي ولد عام 1150ه الموافق ل 1737م،بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري في جبل كرسوط، " [20] وهو عن نفسه يقول " ولدت بين جبل كرسوط وهونت كما أخبرتني الحرة التقية الصالحة الولية ( أمة الله)، أختي حليمة برد الله ضريحها وأسكنها من الجنة فسيحها، ثم شرق بنا أبونا إلى متيجة فماتت أمي بها وهي الصالحة الكاملة التقية العاملة أطول النساء يدا وأكملهن هديا وهدى ، كانت من أجل نساء البدوية وكانت يضرب بها المثل في السخاء والصلاح كرابعة العدوية ، نشأت في بيت علم وصلاح وبركة وصدق وإصلاح وهي آمة الله زولة بنت السيد الفرح ابن الشيخ القطب السيد أعمر بن عبد القادر التوجاني دفين جبل التوميات " [21]، وعن نسبه يقول " فأنا عبد ربي محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل وأن هذا النسب متصل إلى عمرو بن أدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول اله صلى الله عليه وسلم " [22].بدأ دراسته الأولى في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى حاضرة مازونة لاستكمال دراسته ،وهناك تعلم على يد كبار الشيوخ في الفقه والأدب والتاريخ " منهم الشيخ مصطفى بن هني والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ مصطفى بن يونس ، كما قرأ الفرائض على الشيخ البدالي والقضاء والشهادات على يد الشيخ محمد بن عبد القادر وبعد إجازته رشحه الشيخ المشرفي إمام الراشدية، زاده هيبة بايات الغرب الجزائري الذين أصبوا يخصونه العناية والتبجيل " [23] أما عن الفضل المتبادل بين العلامة ومدينة معسكر، فيقول " لما أتقنت القرآن بأحكامه مع الأنصاص التي للشيخ ابن ازقاق والشيخ الطاهر بن عمرون المغراوي وغيرها، انتقلت لقراءة الفقه فقرأت على فقهاء أم عسكر

الآتي ذكرهم إن شاء الله ، ثم سافرت إلى صومي لمازونة مدين مغراوة بناها منديل بن عبد الرحمن منهم أول القرن السادس " [24]، لقد أثرى الشيخ والعلامة أبو راس الناصري الثقافة الجزائرية بإنتاجه الفكري الغزير وقدم مدية معسكر للعالم من خلال مؤلفاته،فهو علامة ومحقق وحافظ للقرآن والحديث ومؤرخ وأديب ،له إسهامات كثيرة منها الكوكب الدري في الرد بالجدري وكتاب مفاتيح الجنة وأسناها في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها ، وكتاب النحو نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة ، وفي التاريخ زهرة الشماريخ في علم التاريخ والحلل السندسية فيما جرى بالعدوة الأندلسية وعجائب الأسفار وغيرها من الكتب.

– **الشيخ مصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي** :وهو من أشهر علماء معسكر، تتلمذ على يديه الكثير من الطلبة " أما مولده فكان في حدود القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر ميلادي، أما وفاته فقد اتفقت المصادر على سنة واحدة وهي 1136ه الموافق ل 1724م " [25]،وهو ابن معسكر من منطقة القلعة، كانت له إسهامات كثيرة في مجال العلم والثقافة حيث " شملت عطاءاته الثقافية ميادين معرفية شتى منها علوم الشريعة والأدب وعلم الكلام ، وخاض هذا العالم الجليل في ميدان الأدب خاصة الشعر ، وهذا ما يتضح جليا من خلال القصائد التي تركها ، وله مشاركة في علم الكلام ومن مؤلفاته كفاية الحريد على شرح عقيدة أهل التوحيد ، وحاشية على شرح شمس الدين عامر بن ضرب العدواني التتائي " [26]، كان كثير المطالعة و لم يهتم بمجال علمي واحد ، بل تعددت وظائف ادراكاته ومعارفه العلمية ، " فقد قرأ النحو أيام السيد أحمد بن حمو أوائل القرن الثالث عشر هجري ، وظهر بها الحديث أيام الفقيه السيد مصطفى بن جلول ، حتى كان هذا سيدي

مصطفى يعرف النحو على ظهر قلبه ، وأحيا بها الفقه في مذهب مالك الشيخ سيدي محمد الملقب الحبوشي بن أحمد بن حمو " [27].

– **الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي** : وهو من أبرز علماء المنطقة أثر في معسكر وأثرت فيه، " وهو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي المعسكري توفي سنة 1778 م ،دفن بمقبرة الكرط ورثاه أبو راس الناصري بقصيدة طويلة، أما ولادته ونشأته فكانت في قرية الكرط حيث تلقى العلم من علماء عصره في غريس حتى وصل إلى لقب شيخ الجماعة وإمام الراشدية " [28]، ويعرف عن هذه الشخصية الفذة حبه للعلم والتعليم فتقلد وظائف في التدريس ، " بحيث لما أسس الشيخ مصطفى بن المختار الراشدي جد الأمير عبد القادر معهده بالقيطنة اختاره للتدريس، وبعد ذلك أسس زاوية ومعهدا علميا في مسقط رأسه بالكرط ، وذكر العربي المشرفي ( أبو حامد) أن زاويته كانت لا تخلو من مائتي طالب يأخذون عنه العلم ، وتخرج على يديه العديد من الشخصيات المشهورة بالمنطقة مثل الباي محمد الكبير " [29] ،اشتهر هذا الشيخ بالعلم والتقوى وكانت زاويته بالكرط مقصدا للطلاب من مختلف أنحاء الوطن ، كما اشتهر بالفقه والأدب له كتاب " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، وقد انتهى من تأليفه سنة 1765م ، كما وقع نظما سماه عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط "[30]، وله مؤلفات ومراسلات أخرى مع كبار علماء تلك الفترة من معسكر وخارجها .

– **عائلة المشارفة** : تعتبر الأسرة المشرفية من أعرق الأسر الجزائرية في العلم والفكر، وساهمت مساهمة فعالة في نشر الثقافة بالجزائر خاصة في الفترة الحديثة، وتعتبر منطقة

الكرط بمعسكر موطنهم الأصلي، ومن أبرزهم الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، وابن مشرف محمد وهو الجد الأدنى الذي تنتسب أليه قبيلة المشارف، والشيخ يوسف بن عيسى المشرفي وهو الجد الأوسط للعائلة المشرفية، والشيخ محمد الطاهر بن عبد القادر المشرفي الذي توفي سنة 1792م والذي له كتاب إبراز المعاني في غوامض ألفاظ التفتراتي، وكتاب آخر الدرة الشريفة في أصول الطريقة [31] ،والقاسم المشترك لكل هؤلاء العلماء والشيوخ أن مجال اختصاصهم لم يكن واحدا بل كان متعددا بحيث برعوا في شتى العلوم كاللغة والأدب والشعر والفقه .

– **علماء غريس** : منطقة أخرى من مناطق معسكر كان لها الفضل في إحياء علوم الفقه والدين واللغة، وهي منطقة غريس ذات الطبيعة الخصبة والجو المناسب للإقامة في تلك الفترة ، حيث ظهر بها فطاحل العلم والثقافة وكتبوا الكثير في مجال الأدب والتاريخ ، والمخطوطات الموجودة سواء في الجزائر أو المغرب وحتى تركيا وفرنسا لخير دليل على ذلك ، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ " عبد الرحمن وكنيته أبو زيد نشأ دينياً صالحاً ، منشغلاً بما يعنيه تفقه عن الشيخ عمر ابن عطية وعن محمد السنوسي بن عمر ، وعن السيد عبد الرحمن بن علي المعروف الآن بدحو بن زرفة رافع أصحاب الديوان وبه انتفع وعظم أمره " [32] . ولعل أبزر عالم عرفته منطقة غريس هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة من شرفاء غريس، " كان كاتبا للباي محمد بن عثمان وشارك بنفسه في الهجوم لتحرير مدينة وهران سنة 1792م ، فكلفه الباي بجمع الحوادث عن هذا الفتح وتسجيلها أولا بأول، فجمعها في كتاب سماه الرحلة القمرية في السيرة المحمدية ، وله كتاب آخر الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء،توفي سنة 1800م " [33] .ومن بقية علماء غريس يذكر التاريخ كل من الشيخ ابن

المختار الغريسي ومن أبرز مؤلفاته القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم ، والشيخ محي الدين بن مصطفى بن المختار الغريسي وهو والد الأمير عبد القادر وغيرهم من العلماء والشيوخ ، ولا يمكن حصر وجرد علماء معسكر في صفحات قليلة وما تركوه من تراث علمي وديني وأدبي شهدت عليه الفترة الأخيرة من الحكم العثماني.

**مظاهر مساهمة المساجد والزوايا والمدارس في نشر العلم:** ساهم وجود هذه المنشآت الدينية والثقافية بمعسكر في :

1- تخرج من هذه المدارس والمساجد والزوايا الكثير من طلاب العلم، وارتقوا في طلبه إلى أن صاروا شيوخ وعلماء قدموا إنتاجاً أدبياً وفكرياً كبيراً.

2- بفضل هؤلاء العلماء والفقهاء والأدباء، انتشرت الثقافة والعلم في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بمعسكر، وكان للزوايا والمساجد والمدارس فضل كبير في انتشار هذا العلم،عبر الجزائر وكامل أقطار الوطن العربي .

3- ساهمت المدارس والزوايا في نشر مبادئ الثقافة الإسلامية في تلك الحقبة من الزمن، خاصة وأن الدولة العثمانية في هذه الفترة شهدت انهيار في شتى المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية، نتيجة التنافس الاستعماري على ممتلكاتها.

4- إتاحة الفرصة للعلماء والمدرسين والأساتذة لممارسة التعليم ،واستغلال مواهبهم في الكتابة والتأليف .

5- تنوع فنون العلوم التي كانت تدرس في الزوايا والمدارس كالعلوم الدينية والأدبية والفكرية والعلمية بما فيها الحساب، وتخرج الكثير من العلماء من هذه المدارس والزوايا مثل أبي راس الناصري وعبد القادر المشرفي.

6- عرفت مدينة معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني شهرة كبيرة، تعدي صيتها حدود الوطن ليصل إلى مشارق ومغارب العالم العربي والإسلامي، وكان ذلك بفضل هذه المدارس والزوايا والمساجد التي كانت مقصد كل طالب علم، واشتهرت كثيراً بفضل علمائها وشيوخها.

**الخاتمة** : لعبت الزوايا والمساجد والمدارس .بمعسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني ، دورا مهما في مختلف مجالات العلم والمعرفة بفضل هذه المنشآت الدينية والعلمية ، وبفضل جهود بعض الشيوخ والعلماء الذين برزوا في هذه المرحلة ،كما ساهم بعض بايات الحكم العثماني ومنهم الباي محمد الكبير في انتشار مظاهر العلوم والثقافة ، بالرغم من التراجع الرهيب للخلافة العثمانية في هذه الفترة ، وذلك نظرا لمحاولات الطمع الاستعماري في ممتلكاتها.

**الهوامش و الإحالات**

1 – مسلم بن عبد القادر الوهراني ، ذخائر المغرب العربي في تاريخ بايات وهران المتأخر ، تحقيق رابح بونار، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1974. ص18

2- علي بن العيفاوي ، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر،إشراف مريم الصغير ،2009. ص 34

3- رشيدة شدري معمر ،العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات 1671-1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ، تحت اشراف د/ فلة موساوي القشاعي ، جامعة الجزائر ، 2006/2005.ص56

4- علي بن العيفاوي ، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، اشراف د/ مريم صغير ، جامعة الجزائر 2009/2008.ص113

5- علي بن العيفاوي، نفسه .ص112

6- ينظر الأمير عبد القادر ، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1944م ، تحقيق : محمد صغير بناني وآخرون ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2008 .ص48

7- الأمير عبد القادر ، نفسه .ص48

8- بلهاشمي بن بكار ، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب ، مطبعة ابن خلدون تلمسان ، الجزائر ، 1961.ص380

9- يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999.ص 127

10- مبروك مهيرس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009. ص47

11- محمد عليو ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر 1701-1830،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، اشراف د/ فغرور دحو ، جامعة وهران ،2009/2008.ص 128

12- رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق .ص54

13 – بن عتو بلبروات : « إسهام العائلة المشرفية في الكتابة التاريخية »العصور الجديدة ، العدد الثالث والرابع ، طباعة مكتبة الرشاد للطباعة 2012/2011.ص 158

14- عبد الحق شرف ، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي حياته و وآثاره 1895م ،ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ،2011.ص62

15- رشيدة شدري معمر ، المرجع السابق .ص58

16- – رشيدة شدري معمر ، نفسه .ص59

17- أبي راس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، تقديم وتحقيق محمد غانم ، ط1، منشورات المركز الوطني ، الجزائر 2005.ص188

18- محمد عليو، المرجع السابق .ص135

19- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1998.ص331-332

20- حمدادو بن عمر :« دراسة مخطوط الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية »العصور الجديدة ، العدد الأول ، طباعة مكتبة الرشاد للطباعة 2011.ص 158

21– محمد أبو راس الجزائري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1990.ص 18
22– محمد أبو راس الجزائري، نفسه .ص25
23– كمال فيلالي :« هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني » المواقف، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي الأول حول الظاهرة الدينية أفريل 2008، طباعة مكتبة الرشاد للطباعة 2008. ص378
24– محمد أبو راس الجزائري ، المرجع السابق .ص20
25– محمد بوشريط :« الرماصي وإسهاماته الثقافية » العصور الجديدة ، العدد 8/7 ، طباعة مكتبة الرشاد للطباعة 2013.ص 201
26– محمد بوشريط، نفسه .ص206
27– الشيخ البشير البرجي ، كتاب أحوال قلعة بني راشد ، تحقيق وتقديم ميلود أحمد فواتيح ، منشورات دار الأديب ، الجزائر ، طبعة 1436ه/2016.ص 54
28– سمية مصدق ، أشراف غريس من خلال مصادر النسب مابين القرنين السابع عشر والتاسع عشر للميلاد ، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف د/ وذان بوغفالة ، جامعة معسكر ،2016/2015 .ص 203
29– بن عتو بلبروات ، إسهام العائلة المشرفية ... المرجع السابق . ص159
30– سمية مصدق ، المرجع السابق .ص203
31– ينظر بن عتو بلبروات : « إسهام العائلة المشرفية... المرجع السابق . ص160
32– أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد التوجيني ، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس ، دار خليلل للنشر، الجزائر ، 2005.ص30
33– علي بن العيفاوي ، المرجع السابق .ص 113